الفصل الأول

# مدخل إلى تاريخ الحضارة الفارسية القديمة

## جغرافية إيران:

لعب التكوين الطوبوغرافي لمناطق عالم الشرق القديم دوراً حاسماً في تحديد لون الحضارات التي نشأت فيها، وبالتالي في قدرة هذه الحضارات على الصمود ثم الاستمرار، خلال الصراع الدائم الحاد الذي نشب بين شعوبها بغية تسلم زمام القيادة السياسية في هذا العالم القديم المتحضر.

وقد كونت الحدود الطبيعية التي تفصل مستوطنات الإنسان القديم في القسم الغربي من الشرق القديم عن بقية المناطق الأخرى منه. إن توفر المياه الغزيرة والتربة الخصبة في كثير من بقاع الشرق القديم والموقع الاستراتيجي الهام بين قارات ثلاث، كل ذلك خلق عوامل أدت إلى نشوء الحضارات ونموها وخاصة خلال حقبها الأولى[1].

يمتد العالم الإيراني من نهر الهندوس ومرتفعات السند وجبال هند كوش شرقاً، إلى جبال زاغروس غرباً، على مساحات واسعة تقدر بما يقرب من 1.600.000كم$^2$. لكن ثلثي هذه الأراضي كانت صحراء قاحلة. وترتفع الجبال في الشمال إلى ما يتراوح ما بين 2000-4000م. أما قلب البلاد فيتألف من هضبة صحراوية جرداء هي - على ما يذهب إليه الجيولوجيون - عبارة عن قعر بحر قديم جفَّ ماؤه.

الهضبة الإيرانية تشبه مثلثاً يقع بين منخفضين: أحدهما الخليج العربي في الجنوب، وثانيهما بحر قزوين (الذي يعرف عند العرب ببحر الخزر) في الشمال. وتحيط بهذه الهضبة، سلاسل من الجبال ترتفع حولها: من الشمال جبال البوروز، ومن الشرق جبال خراسان، ومن الجنوب جبال مكران، ومن الغرب جبال زغروس، وهذه الجبال جميعها تتألف من سلاسل متتابعة تخترقها الوديان التي تتجمع فيها بعض المستنقعات والبحيرات. وقد كانت هذه الجبال في العصور القديمة مكسوة بغابات السنديان والبلوط وغيرها، وكانت أمطارها غزيرة وتنبت في وديانها أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة والنباتات الصالحة للأكل التي كان يجمعها الإنسان الأول ويتغذى

1- د. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، دار دمشق، ط 1، 1985 ص 17-18.

منها. كما كانت تكثر فيها مختلف أنواع الحيوانات من الغنم والبقر والماعز التي كان يصطادها الناس، ووجدت فيها الوحوش كالذئاب والأسود والفهود وغير ذلك[1].

أما القسم الأوسط من الهضبة فهو منخفض واسع يتميز بجدبه. وتمر فيه سلستان داخليتان من الجبال. وينقسم هذا المنخفض إلى قسمين: صحراء كفير في الشمال وصحراء لوط في الجنوب.

تصعب الحياة في الهضبة الإيرانية، ولا تتيسر إلا في الوديان التي تخترق سلاسل الجبال أو في الواحات. لقد ازدهرت الحياة في السهول التي تقع خارج سلاسل الجبال أو على حافتها الداخلية. وأهم هذه السهول سهل خوزستان الذي يقع في الجنوب الغربي (وكان يطلق عليه قديماً سوزيانا)، وهذا السهل من الناحية الجغرافية امتداد لسهل العراق. وقد كان هذا السهل خلال العصور مأهولاً بسكان متمدنين أثروا في البدو الذين كانوا يسكنون التلال المجاورة. وعندما امتدت حدود الإمبراطورية الإيرانية غرب جبال زاغروس، ازدهرت الحضارة في هذا السهل من جديد. وكانت مدينة سوسا عاصمة سوزيانا القديمة، وأصبحت عاصمة للإمبراطورية. وقد ساعدها على بلوغ هذه المكانة موقعها الجغرافي الذي يسهل الاتصال منه بمدن العراق وآسيا الصغرى.

وهناك سهل خارجي آخر يقع بين بحر قزوين وجبال البروز. وتجتذب الجبال العالية هناك سحباً تؤدي إلى هطول كميات كبيرة من الأمطار على ذلك السهل الساحلي الضيق الذي يمتاز بفرط خصويته. ويمثل هذا السهل المنطقة الحارة من إيران، وتغطيه الغابات والمستنقعات والأحراش. وينمو هناك الأرز والقطن والشاي والتبغ وقصب السكر والبرتقال والليمون والتوت والتين والرمان، وفيه يتم إنتاج الغذاء لثلث سكان إيران.

وتوجد وسط الهضبة منطقة صحراوية، إضافة إلى مناطق طينية التربة، فمثل هذه المناطق وافرة الخصوبة ويمكن زراعتها بالري الصناعي. وعلى الرغم من مناخها القاسي الذي يمتاز بشدة الحرارة في الصيف وشدة البرودة في الشتاء، فإن هذه الأرض يمكن أن تغل محاصيل وافرة إذا استطاع الإنسان نقل الماء إليها. وقد شاع في إيران الري الصناعي منذ وقت بعيد. ففي أيام الأخمينيين كانت هناك سلسلة من القنوات تنقل الماء تحت الأرض. وقد ينقل الماء المتجمع في أسفل جبل مسافة تبلغ ثلاثين ميلاً لري بقعة من الأرض. ومن هذا الماء وكذلك من الأمطار الغزيرة التي تتساقط في جبال البروز وزاغروس، أصبحت الحافة الداخلية لتلك الجبال مرصعة بواحات كثيرة.

وكانت عواصم إيران منذ ظهرت فيها مملكة ميديا الأولى تقع في مواجهة الصحراء على الطرق الرئيسية التي تمتد إزاء الحافة الداخلية لسلسلتي جبال زاغروس والبروز، فمن الغرب إلى الشرق تقع على طريق التجارة الممتدة بإزاء

---

1- د. نعيم فرح: تاريخ حضارات العالم القديم وما قبل التاريخ، مطبعة الحلبوني، دمشق 1975، ص 223.

جبال البروز مدن: إكباتنا (همدان) وقزوين وطهران والري ودافعان وهراة. أما الطريق الجنوبي فتقع عليه أصفهان والري واصطخر وبيرسيبوليس وشيراز.

وقد أثبتت الحفريات الجيولوجية أن هذا التجمع السكاني له أصل في عصور ما قبل التاريخ، حيث تم اكتشاف أن رجل إيران في العصر الحجري سكن هذه الأماكن عندما نزل من الجبال. وقد كشفت مناطق كانت مسكونة في العصر الحجري عند كاشان وقمم والري ودامغان[1].

هذه الدولة التي تحيط بها الجبال الشاهقة من كل جانب، لم تكن منعزلة عن العالم الخارجي في عصر من العصور، فمن وسط جبال زاغروس نزل الغوتيون الذين غزوا أرض الرافدين في أواخر العصر الأكادي. ثم من هنا كان اختراق الكاشيين الذين كانوا يسكنون المنطقة التي تدعى حالياً لورستان، لأرض بابل، وهو الغزو الذي أدى إلى إنهاء حكم الأسرة البابلية وإلى استيلاء أسرة كاشية على عرش بابل مدة تزيد على أربعة قرون.

كذلك يمكن اختراق الهضبة الإيرانية من الشمال، حيث تتصل سلسلة جبال البروز عند حافتها الغربية بمنطقة أذربيجان الإيرانية من الجهة الشمالية المنيعة. وقد جلبت هذه المنطقة، التي تعدّ أحد منفذين طبيعيين اثنين إلى قلب إيران، شعوباً عديدة جاءت واستقرت على التوالي حول بحيرة أورمية. وهذه الشعوب هي: الميديون والفرس والكرد والمغول والترك والتتار. وفي هذه البقعة ولدت ونشأت الأسر المالكة في ميديا وفارس[2].

تتمتع إيران، عدا عن كونها بلداً زراعياً ورعوياً، بثروات طبيعية دفينة متنوعة وغنية في باطن أرضها. ففي الألف الثالث قبل الميلاد كان الحكام السومريون يستجلبون كتل الرخام والألباتر من مقالعها الحجرية، كما كانوا يقطعون الأخشاب من الغابات التي كانت تغطي بكثافتها الجبال وهي اليوم جرداء قرعاء.

استخرجت من صخورها الحجارة الكريمة، ومنها (الينع) وهو العقيق الأحمر، والفيروز الأزرق الغامق واللازورد السماوي الرائع الزرقة، واستخرجت المعادن كالنحاس والقصدير والتوتياء والحديد. وهي موارد أثارت مطامع ملوك آشور الفاتحين الذين نظموا الحملات المتتابعة لفرض الغرامات والأتاوات. وكان معروفاً منذ زمن هيرودوت على الأقل أن الحوضين الكلسيين في جبال زاغروس يحتويان على حوض من النفط الذي لم يجر استثماره إلا في القرن العشرين. وهكذا تتضح الإمكانات الضخمة المعدنية والزراعية التي تتمتع بها البلاد التي استطاعت

---

1- د. محمد عبد السلام كفافي: في أدب الفرس وحضارتهم، دار النهضة العربية، بيروت، 1970 ص 127-129.

2- د. محمد حرب فرزات: مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام، جامعة دمشق، ط 1، 1989، ص 11.

منذ الألف الأول ق.م أن تلعب دوراً هاماً في مجرى تطور الأحداث ومسيرة الحضارة في الشرق الأدنى القديم.

ورغم قسوة الطبيعة في الجزء الأكبر من سطحها ومن إحاطة الجبال بأرضها من معظم أطرافها، إلا أن البلاد مفتوحة من جهات متعددة على الحضارات المجاورة والعالم الخارجي: بلاد الرافدين من الغرب، والهند من الشرق، والسهول الروسية من الشمال، والبحر العربي والمحيط الهندي من الجنوب. هذا الموقع الجغرافي الممتاز جعل إيران طريقاً عالمياً للمواصلات. فعبر أراضيها كانت تمر ولقرون عديدة طريق الحرير والتوابل والحجارة الكريمة. وعلى الطريق نفسها زحفت الجيوش الغازية والمدمرة التي غيرت وجه الشرق: جيوش الإسكندر القادم من الغرب، وجيوش قادة المغول والتتار القادمة من الشرق. هكذا كانت هذه البلاد بسبب اتساعها وتنوع جغرافيتها، وهذا ما شكل صعوبة في الدفاع عنها بصورة فعالة، فأضحت بالتالي بوتقة انصهرت فيها عبر تاريخ طويل أعراق وأقوام أنشأت حضارات متتابعة في مراكز متعددة؛ حيث تتوافر الشروط الملائمة على أطراف الواحات والسهول الزراعية، وهو ما تكشفت عنه التنقيبات الأثرية، ونجح الإنسان الذي أقام على هذه الأرض في إبداع ثقافة مميزة بصنائعها وأفكارها ومثلها وبقيمها الدينية والفنية والأدبية، لم تنحصر في العالم الإيراني المحدود بل انطلقت خلال العصور القديمة كلما أتيحت لها الظروف إلى الأطراف المجاورة لتتبادل التأثر والتأثير معها ولتطبعها أحياناً بطابعها الذي لا يمكن إلا أن يكون لوناً جميلاً من الألوان الباهرة في لوحة الحضارة الإنسانية عبر مسرتها الخالدة[1].

## الشعوب الإيرانية القديمة:

ينتمي الإيرانيون إلى مجموعة الشعوب الهندو أوروبية التي بدأت بالقدوم إلى إيران منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد. وكانت الشعوب الهندو أوروبية قد بدأت بالهجرة من موطنها الأصلي في آسيا الوسطى وجنوب روسيا منذ الألف الثاني قبل الميلاد. اتجه الإيرانيون نحو الجنوب واستقروا في منطقة الهضاب ما بين بحر قزوين والخليج العربي، وكان الفرس والميديون أهم مجموعاتهم[2].

إن كلمة «إيران» تعني أرض الآريين. وترجع الكلمة إلى أصول قديمة. فقد دعا الملك داريوس (دارا) الأول نفسه آرياً من نسل آري. ومن آريا - وهي منطقة تقع على طول نهر آريوس (هاريرود) في وسط إيران، جاءت كلمة «إيران» التي تطور مدلولها من الجزء إلى الكل. فليس للكلمة مدلول عرقي، بل لها مدلول

---

1- المرجع السابق، ص 15-16.

2- د. فيصل عبد الله ود. عيد مرعي: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ط 3، جامعة دمشق 2001، ص 152.

جغرافي، فهي اصطلاح يعني أرض الآريين. والآريون فرع من فروع مجموعة الشعوب الهندية - الأوروبية التي ينتمي إليها أيضاً الهنود واليونانيون.

ورد ذكر إيران لأول مرة عام 243 ق.م في كتابات ملكية على الشكل التالي: ERAN وتعني «بلاد الآريين».

وقد جاء اسم الفرس من اسم بلادهم فارس. وهذه الكلمة «فارس» هي في الأصل اصطلاح جغرافي، أطلق على القسم الجنوبي الغربي من إيران، والممتد حتى شواطئ الخليج العربي. وكانت الكلمة تلفظ في اللهجات الإيرانية القديمة بارس، بارسا، ثم فارس، التي جاءت منها كلمة فارس بالعربية وبرسيا PERSIA باللغات الأجنبية الأوروبية، وذلك عن طريق المصادر الكلاسيكية اليونانية التي تحدثت عن الفرس والإمبراطورية الفارسية وحروبها مع اليونانيين منذ القرن الخامس ق.م. ومن المصادر الكلاسيكية انتقل هذا الاسم إلى اللغات الأوروبية وغيرها.

فكلمة فارس إذاً، بمعناها الضيق، تعني المنطقة التي كان يسكنها شعب يعرف باسم الفرس، وكان يدعوها اليونانيون برسيس PERSIS، ثم اتسع مفهوم الاسم ليشمل كل بلاد الإمبراطورية الفارسية الأخمينية التي أسسها قورش في القرن السادس قبل الميلاد، والتي شملت بعد ذلك معظم بلاد الشرق القديم من أطراف الهند إلى مصر.

ولم يكن سكان هذه البلاد جميعهم من الفرس؛ فقد اختلطت الأعراق والشعوب والأقوام واللغات في هذه الإمبراطورية الكبرى. ولكن كان للفرس فيها المكان الأول في السياسة والإدارة والجيش، في حين احتفظ البابليون بدورهم الريادي في العلوم، وانصرف الآراميون إلى التجارة في أصقاع الأرض، يحملون حروفهم الأبجدية ولغتهم وثقافتهم.

لم يكن الفرس أول الإيرانيين القدماء، الذين سكنوا أرض الآريين، واستقروا عليها. ففي نحو 1500ق.م احتلت قبائل آرية منطقة جبال زاغروس، وهي تشكل الفرع الهندي - الإيراني من مجموعة الشعوب الناطقة باللغات الهندو - أوروبية. وكان لهذه الشعوب احتكاك واسع النطاق بشعوب بلاد الرافدين، والدول التي قامت فيها. ويعتقد عدد من أهم الباحثين المختصين في الدراسات الإيرانية ومنهم هرتز فلد E. E. HERZFELD وكرشمان R. GHIRSHMAN أن القبائل الميدية والفارسية مع مجموعات أخرى من الشعوب الهندية - الإيرانية دخلت إيران من جنوب روسيا في بدايات الألف الأول قبل الميلاد. ولا نعرف شيئاً عن أصول هذه الشعوب الهندو إيرانية قبل أن تستقر في موطنها، سوى أنها قدِمت من مناطق تقع شرقي بحر قزوين في وسط آسيا أو من مناطق أبعد، ربما تكون في الأصل من حوض نهر الفولغا، ثم تسربت إلى شمال إيران وسفوح جبال زاغروس. ونستنتج هذه المعلومات من دراسات لغوية مقارنة.

لا نعرف متى انفصل الهنود عن الإيرانيين بعد أن انحدروا جميعهم من أصل واحد. لكن من المرجح أن هذا الأمر وقع قبل 1000ق.م. ورغم هذا الانفصال، فإن كلا الفرعين ينتميان إلى الآريين، وهي كلمة تعني «السادة». و «الماديون» (الميديون). وقد استقر هؤلاء في الشمال في البلاد التي عرفت باسم ميديا، بينما استقر الفرس في الجنوب بصورة نهائية في المدة الواقعة بين 900-700 ق.م، فعرفت المنطقة باسم بارسا، برسيس أي فارس.

وعند قدوم هذه الشعوب الهندية - الإيرانية لم تكن الأرض خاوية خالية، فقد سبقهم إليها المانيون، وهم من الشعوب الهندو أوروبية التي أنشأت حضارة على هامش الحضارة الرافدية تأثرت بها وتعاملت بموجب معاهدات ولاء للملك الآشوري نحو القرن السابع قبل الميلاد.

أما في جنوب غربي إيران فقد قامت حضارة قديمة في المنطقة، دعاها الرافديون عيلام، وهي التي عرفت في المصادر الفارسية باسم خوزستان، وفي المصادر العربية باسم الأهواز، وفي المصادر العربية الحديثة باسم عربستان، بسبب انتشار العرب في هذه المنطقة منذ القرنين التاسع والعاشر للميلاد في ظل الدولة العربية الإسلامية.

وهكذا يتغير مدلول المصطلحات الجغرافية - التاريخية حسب الظروف والتطورات التاريخية... وقد طلبت حكومة إيران عام 1935 من حكومات الدول الأخرى أن تعتمد اسم إيران الذي أصبح الاسم الرسمي للبلاد الإيرانية. ولكن نظراً لأن اسم «فارس» كان مستخدماً على نطاق واسع، وبخاصة في المصادر والمراجع التاريخية والأدبية، فقد صدر في تشرين الأول 1949 قرار حكومي إيراني ينص على جواز استخدام اسم «فارس» إلى جانب «إيران». وبعد ثلاثة عقود من السنين (عام 1979) حدث التغيير الثوري الكبير في إيران بإسقاط الحكم الإمبراطوري وإعلان «جمهورية إيران الإسلامية»[1].

## مراحل تاريخ إيران القديم:

لا يعرف أصل العيلاميين أقدم الشعوب المعروفة في إيران القديمة، لكن المؤكد هو أنهم لم يكونوا من السومريين ولا من الأكاديين، وكانوا غالباً في نزاع مع دول بلاد الرافدين حتى نهاية العصر الأشوري.

ولم يكن للإيرانيين دولة موحدة حتى الألف الأول ق.م عندما أسست مملكة الماديين (الميديين) في الشمال ومملكة الفرس في الجنوب.

وقد احتوت هاتان المملكتان معظم الشعوب ذات الأصول الهندو - أوروبية. ولكن كان من الصعب انصهار الشعوب الأخرى غير الإيرانية واندماجها فيها. وقد استمرت المملكة الميدية حتى أواسط القرن السادس (550 ق.م)، عندما نهضت

1- د. محمد حرب فرزات: مدخل على تاريخ فارس، مرجع سابق، ص 5-7.

مملكة فارس الأخمينية، التي ترجع بأصولها إلى أخمينيس، بزعامة قورش الذي كون مملكة عظيمة الأرجاء امتدت من أطراف الهند إلى بحر ايجة ومصر بعد أن قضى على الممالك والدول القائمة. ومنذ زمن هذه الأسرة عرف الفرس في التاريخ. كان الفرس هم حكام هذه الإمبراطورية. ولكن الحضارة كانت من صنع شعوب الشرق الأدنى كله. وقد استخدمت العيلامية والفارسية القديمة لغتين رسميتين في المناطق الفارسية، واستخدمت البابلية في بابل وفي النصوص التذكارية. أما اللغة الآرامية التي كانت لغة بلاد الشام والرافدين، فكانت منتشرة على نطاق واسع في ميديا، وأضحت اللغة الرسمية الإدارية ولغة المعاملات والتجارة في بلاد الإمبراطورية من أفغانستان إلى أسوان في مصر. وأسهم سكان الساحل السوري من الفينيقيين بدور كبير في الملاحة والتجارة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

انهارت إمبراطورية الفرس الأخمينيين على أيدي الإسكندر المكدوني نحو 331ق.م، فقامت خلال فترة عقدين (331-321 ق.م) إمبراطورية كبرى، ما لبثت بعد موت مؤسسها الإسكندر قائد الهلينيين أن انقسمت إلى دول وممالك متعددة بين قادة جيوشه. وكان أهم هذه الدول الدولة السلوقية التي احتفظت بمعظم أراضي الإمبراطورية الفارسية الأخمينية السابقة وإمبراطورية الإسكندر. وقد اتخذ سلوقس عاصمة له هي مدينة سلوقية على نهر دجلة (تل عمر) وتقابلها طيسفون (المدائن) عاصمة الفرثيين ثم الساسانيين بعدهم. وبقيت سلوقية عاصمة للدولة السلوقية حتى اتخاذ أنطاكية على العاصي عاصمة وحتى دخول الرومان في 64ق.م.

نهضت إيران مرة أخرى بقيادة الأسرة الارشاقية (الفرثية)، في العصر الفرثي الذي امتد من 164ق.م إلى 224م، بعد تخلصها من الحكم السلوقي. ووقفت المملكة الفرثية قرنين وجهاً لوجه أمام التوسع الروماني في الشرق على طول خط يمتد من الأناضول إلى الخليج العربي. وفي هذا العصر قامت مملكة عربية هامة في شمال العراق هي مملكة الحضر، كانت معاصرة لمملكة تدمر في قلب البادية العربية السورية. أما آخر عصور تاريخ إيران القديم فهو العصر الساساني (226-651م). الذي تميز بالصراع المرير بين الفرس الساسانيين من جهة والروم البيزنطيين من جهة أخرى، والذي انتهى بهزيمة آخر الملوك الساسانيين في معركة نهاوند وبانتصار الإسلام في إيران. ويختلط تاريخ الفرس القديم، وتاريخ إيران بعامة في كثير من مراحله ومظاهره السياسية والثقافية بتاريخ المشرق العربي. وقد ورث العرب المسلمون دولة فارس وسياستها في الشرق بعد دخول المدائن. وتراجعت الثقافة الفارسية القديمة أمام الإسلام واللغة العربية[1].

---

1- المرجع السابق، ص 18-20.

## مصادر تاريخ الحضارة الفارسية:

من أهم المصادر الفارسية نقوش الملك دارا الأول على صخور بهيستون BEHISTOUN. وفي هذا الموقع الأثري أمر داريوس الأول ثالث ملوك الأسرة الأخمينية 516ق.م بنقش أخبار انتصاراته بثلاث لغات هي الفارسية القديمة والبابلية والعيلامية، ويظهر رمز الإله أهورا مزدا متمثلاً بقرص الشمس المجنح. وفي عام 1847 استطاع العالم الإنكليزي رولنسون أن يحل بضع مئات من الرموز المقطعية المسمارية، بعد مقارنتها بالكتابات الفارسية والعيلامية الموجودة على تلك الصخور. وقد تابع عمله بعض العلماء من الإنكليز والفرنسيين والألمان والروس، حتى توصلوا إلى حل معظم الرموز المسمارية، ومن ثم معرفة كل فروع لغاتها من سومرية وأكادية وبابلية.

تبتدئ هذه النقوش بتمجيد للإله أهورامزدا الذي منح السلطة إلى دارا، ثم يلي ذلك تعداد المقاطعات الداخلة في إطار الإمبراطورية الفارسية في عهد دارا (23 مقاطعة). بعد ذلك يتحدث دارا عن قضائه على المدعي جاوماتا الذي اغتصب العرش بعد وفاة قمبيز، وادعى بأنه أخوه باردیا، وعن قضائه على بقية المتمردين الثمانية. ثم يذكر الحروب التسع عشرة التي خاضها في كل من فارس وعيلام وبابل وميديا وسارغارتيا ومارغيانا وأرمينيا والبلقان. وأخيراً يحذر من يحطم أو يشوه نقشه هذا ويهدده بعقاب الإله أهورامزدا، كما يثني على من يحافظ على النقش ويعده بمكافأة أهورامزدا. وقد اكتشف في منطقة قناة السويس نقش باللغة الفارسية القديمة مع ترجمة لها باللغة المصرية، ويتحدث ذلك النقش عن شق قناة من نهر النيل إلى البحر الأحمر في عهد دارا. كما اكتشف في سورا نقش يتحدث عن بناء دارا قصره الملكي في تلك المدينة. أما ما يسمى بالنقش الرسمي الموجود على قبر دارا الأول، فقد اكتشف في مقبرة الأسرة الأخمينية التي تقع على بعد 15كم شمال مدينة برسيبوليس، وهذا النقش مكتوب باللغة الفارسية القديمة بحروف آرامية، ما يدل على سعة انتشار اللغة الآرامية في فارس. وقد جاء في النقش تعداد للمقاطعات (ستارابيا) التي كانت خاضعة للسلطة الفارسية في عهد دارا. ومن المصادر الهامة لدراسة الديانة الفارسية (نقش اكزركسيس) (سرخس من دارا) الذي يتحدث فيه عن منع عبادة الآلهة القديمة، ويدعو إلى عبادة الإله الأعلى للفرس أهورامزدا، واعتبارها الدين الرسمي للدولة. كما أن أقوال زرادشت التي جمعت في كتاب (الافيستا) وشروحه التي جمعت في كتاب (زانداي) تعتبر من المصادر الهامة للتعرف على الديانة الفارسية. وفي كتاب الشاهنامة للفردوسي (القرن 10-11م) ترد بعض الذكريات عن الفرس القدماء. وبالإضافة إلى الكتابات الفارسية القديمة توجد بعض الكتابات البابلية والآرامية والمصرية التي تتطرق إلى تاريخ الدولة الفارسية، تذكر منها: حوليات الملك الكلداني نابونيد، التي تتحدث عن احتلال الملك الفارسي كورش لمدينة بابل وعن السياسة الداخلية والخارجية لمؤسس الدولة الفارسية هذا. كما تفيدنا الوثائق العيلامية، المكتوبة باللغة الأكادية،

في التعرف على أوضاع بعض المناطق الإيرانية قبل تشكيل الدولة الفارسية. أما المصادر المادية غير المكتوبة فتساعدنا على دراسة تطور الفنون والأدوات الزراعية والصناعات، وغير ذلك من الأمور.

وقد وردت في كتابات المؤرخين الكلاسيكيين بعض المعلومات القيّمة عن الفرس القدماء. فالمؤرخ اليوناني كزينوفون، الذي خدم في الجيش الفارسي لدى كورش الصغير (أخو أزدشير الثاني وكان والياً على ليديا وقائداً للجيوش الفارسية في آسيا الصغرى في مطلع القرن الرابع قبل الميلاد)، يحدثنا عن التنظيمات العسكرية والإدارية التي كان قد أجراها دارا الأول، ويقول ما معناه إن دارا قسم البلاد إلى مقاطعات، وعين عليها حكاماً إداريين مهمتهم جمع الضرائب وتمويل الفرقة العسكرية في المقاطعة، ثم إرسال حصة من الضرائب إلى خزينة الملك. كما عين دارا قائداً عسكرياً في كل منطقة على رأس فرقة من الجيش. وكان كل من الحاكم الإداري والقائد العسكري يراقب عمل الآخر، كما يقوم الملك بالتفتيش على المناطق أو يرسل مفتشين مندوبين عنه، ويكافئ الحكام الذين يديرون مناطقهم على أتم وجه، بينما يعاقب الحكام المهملين.

أما المؤرخ هيرودوت، فيتحدث في تاريخه عن إخماد الملك دارا للتمردات التي نشبت ضده سنة 521 ق.م، وتتشابه بعض أخباره مع ما كتب على صخور بهيستون ويختلف عنه بعضها الآخر (هيرودوت، تاريخ، ج 3، البنود من 60 إلى 79). ويحدثنا هيرودوت أيضاً عن التنظيمات الإدارية التي أجراها دارا الأول؛ حيث أنه زار فارس بعد ذلك بقليل (ج 3، البندان 89، 97)، كما يحدثنا عن تنظيم البريد (ج 8، البند 89)، وعن الطرق الملكية التي كانت تمتد من مدينة ساردیس على الضفة الشرقية لبحر إيجه، إلى مدينة سوزا في فارس، ويصف المحطات الموزعة على تلك الطريق. ويذكر هيرودودت أن دارا أمر بضرب عملة ذهبية، وحصر ذلك الأمر بيده فقط، إذ نراه يأمر بقتل الوالي الفارسي في مصر (اریاند)، لأنه ضرب عملة فضية دون إذنه، كما يقول إن الملك الفارسي يحتكر مشاريع الري ولا يسمح للمزارعين بالاستفادة منها إلا مقابل ضريبة خاصة عدا الضرائب العادية الأخرى. ويصف هيرودوت حملة دارا إلى تركيا في البلقان ومقاومة السكيتيين له، ويروي حادثة طريفة هي أن ملك السكيتيين أرسل إلى دارا، الذي يعسكر بجيوشه في البلقان، رسولاً يحمل هدية تتألف من طيور وفئران وبط وخمسة سهام، وفسر تلك الهدية المنجم المرافق للملك الفارسي (ويدعى غوبري) بأن السكيتيين يقولون للفرس: إذا لم تطيروا كهذه الطيور في السماء، أو لم تختبئوا كهذه الفئران في الأرض، أو لم تبحروا عائدين إلى بلادكم كما يسبح البط في

البحيرة، فإنكم ستقتلون بمثل هذه السهام. ثم يتحدث هيرودوت أيضاً من الحملات التي أرسلها دارا إلى جزر بحر إيجة ومكدونيا بقيادة مهباز ثم أوتانيس[1].

بدأ التنقيب عن الآثار في إيران في القرن التاسع عشر، فاكتشف العالمان فلاندين وكوستا القصر الملكي في مدينة برسيبوليس. وفي نهاية القرن التاسع عشر نقب العالم الفرنسي دوموغان في مدينة سوزا. أما في القرن العشرين فقد أجريت تنقيبات أخرى في برسيبوليس، واكتشفت فيها بعض المخلفات الأثرية. كذلك أجريت بعض التنقيبات في مناطق متعددة من إيران.

ونشرت منذ مطلع القرن العشرين تقارير أثرية ودراسات تاريخية ولغوية حول حضارة الشعوب الإيرانية القديمة. فقد كتب فيسباخ عن المسمارية المستخدمة في النصوص الأخمينية (بالألمانية 1911). وبعد غراي الذي كتب عن الفرس في المجلد الرابع من موسوعة كمبردج للتاريخ القديم (1926)، كان كاميرون من أوائل من ألف تاريخاً لإيران القديمة (شيكاغو 1936). وصدر في عام واحد (1941) كتابان هامان أحدهما من تأليف أ. ت. أولمستد عن تاريخ الإمبراطورية الفارسية (شيكاغو)، والآخر من تأليف هرتزفلد، عن إيران والشرق القديم (لندن).

وبعد عقدين من السنين صدر مؤلف هام لاثنين من كبار الباحثين الفرنسيين في الدراسات الشرقية، كليمان هوار ولويس دولابورت عن إيران القديمة وعيلام وفارس والحضارة الإيرانية القديمة (باريس 1952). ثم نشر غيرشمان، الذي قاد عمليات تنقيب وحفريات واسعة في أماكن متعددة، محصلة دراساته في عدد من المؤلفات صدرت بالإنكليزية والفرنسية ما بين 1951-1976، كان آخرها: إيران منذ فجر تاريخها إلى الإسلام (باريس 1976). ونشر دياكونوف حول تاريخ الميديين باللغة الروسية (موسكو - لينينغراد 1956). ففي حين اهتم كنت KENT بقواعد اللغة الفارسية القديمة وبدراسة النصوص والوثائق (نيوهافن 1950)، عني اللغوي الفرنسي بنفنيست BENVENISTE باللغة الفارسية القديمة أيضاً منذ (1930) وأولى لاباتٍ اهتماماً خاصاً للغة العيلامية ونصوصها، ويتابع دراساته تلميذه فرانسوا فالات (1980). وهكذا تطورت الدراسات الحديثة التي تهتم بآثار الحضارة الفارسية القديمة وبكل ما خلفته من تراث ثقافي وفني عبر العصور[2].

---

1- د. نعيم فرح: تاريخ حضارات العالم القديم، ص 227-229.

2- د. محمد حرب فرزات: مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها، ص 17-18.